القوة الصلبة والناعمة لإيران

عبدالله يغين*

ملخص: عند البحث بشكل عام في أبرز أنواع القوة، التي تُعرّف بأنها القدرة على التأثير في تصرفات الطرف الآخر، فإن أول ما يخطر على البال هو القوة الصلبة والناعمة. تحاول إيران التي تتبوّأ مكانة مهمّة بين القوى الفاعلة في الشرق الأوسط، والتي زاد ظهورها وتأثيرها الملموس في العديد من المجالات ولاسيّما في السنوات الأخيرة- الاستفادة من عناصر القوة الصلبة والناعمة كبقية الدول. وكلما تعمقت خطوط التصدع في المنطقة، وبالنظر إلى تحول الخلافات إلى اشتباكات ساخنة وحروب حقيقية- تبرز أهمية تحديد نوع أدوات القوة التي تمتلكها إيران.

الكلمات المفتاحية: القوة الصلبة، القوة الناعمة، الإستراتيجية، الجيوسياسي، الثقافة، المذهب، الطاقة.

* مؤسسة سيتا، تركيا.

Soft and Hard Power of Iran

ABDULLAH YEGİN*

ABSTRACT: When researching in general the most prominent types of power, which is defined as the ability to influence the behavior of the other side, the first thing that comes to mind is the soft and hard power. Iran occupies an important position among the active powers in the Middle East, and its appearance and influence has risen in recent years in many fields. Iran is trying to benefit from the elements of soft and hard power similar to other countries. And every time the conflict in the area is becoming more deep and complicated and disagreements are evolving into armed conflicts, it has become vital to identify the type of tools of power that Iran possesses.

* SETA, Turkey.

رؤية تركية
2016 - (5/2)
101 - 77

مدخل:

رغـم وجود اختلافات بـين المُنظّرين حول دور القـوة وطبيعتها وتصنيفهـا، فإنها تُعَدّ من أبرز مفاهيم العلاقات الدولية، وهي تُعرّف بشـكل عام وأسـاسي عـلى أنها القدرة على التأثير في أفعـال الآخـر وأفكاره. ولكي تصل أيّ قوّة فاعلة إلى موقع التأثير في الآخر، يجب عليها أن تمتلـك القدرة الاقتصادية، والسياسـية، والعسـكرية اللازمة من أجل تحقيـق ذلك.[2] والنقطة المهمّـة، التـي ينبغـي الانتباه إليهـا فيما يخص فهـم مصطلح القـوة، هي كيفية اسـتخدامها مع مصطلحـات مثل الشـدّة والنفوذ والسـلطة.[3] ثَمّة فارق مهمّ بين هـذه المصطلحات وإن بدت متداخلة مع بعضها بعضًا؛ وهو أن كل مصطلح منها يحمل معاني مختلفة عن المصطلح الآخر، وعن مصطلح القوة أيضًا، والأخير يعني قدرة اسـتخدام كل المصطلحات التي سـبق ذكرها. إن قـوة دولة مـا، تتألف من مجموعـة عوامل، مثل: السـكان، والموارد الطبيعيـة، والاقتصاد، والجيـش، والقيم الأخلاقية، والإرث التاريخي. وإن كانت هناك مقاربات مختلفة حول القوة، نتيجـة خضـوع هـذه العوامل لتصنيفـات معينـة، إلا أنه يمكـن تصنيف القوة تحـت عنوانين رئيسـين؛ همـا: القـوة الصلبة والقـوة الناعمة. من مصـادر القـوة الصلبة، التي غالبًا ما تشـير إلى الجانـب الملموس من القوة، المـوارد الطبيعية، والمجتمع، ورأس المال، والطاقة العسـكرية والقـدرة القتاليـة.[4] وهـذا النـوع من القـوة، يتضمن عبر الاسـتفادة من القـدرات الجغرافية، والعسكرية، والاقتصادية التي بيد صاحبها، التأثير في الآخر. وفي نتيجتها تشكّل الحساسيات السـلبية بين رجال الدولة والنخبة والشـعب في البلد الآخر؛ لأن تفوّق الدولة القوية، مرتبط بمدى قدرتها على اسـتخدام الميزة التي تمتلكها، في التأثير في الطرف الآخر.[5] وفي هذا السـياق نسـتطيع القول إن العوامل مثل الموقع الجيوسـياسي، والقوة الاقتصادية والقدرة العسـكرية، هي نماذج ملموسـة للقوة الصلبة، حيث يسـتفاد منها لتغيير تصرفات الطرف الآخر. ومن ثَمَّ فإن القوة الصلبة تستند إلى ثنائية: الجزرة والعصا/ التحفيز والتهديد.

وعنـد الحديـث عن إيران وقوتها الصلبة، فإن العناصر المذكـورة أعلاه تنطبق عليها أيضًا. وجميـع هذه العناصر، تُعـدّ إلى حد كبير، العوامل المكوّنة لقوة إيران الصلبة. إنّ هذه الدراسـة سـتتناول في قسـم منهـا تحليل قوة إيـران الصلبـة: الموقع الجغـرافي لإيران وبخاصـة علاقتها بأحـواض الطاقـة، إلى جانب أهميتها الجيوسياسـية، وقدرتهـا على إجراء عمليات عسـكرية، بالإضافـة إلى قدراتهـا من السـلاح. ونظرًا إلى اعتماد القوة الاقتصادية لإيران بنسـبة كبيرة على مصـادر الطاقـة، فإنه لا مفـر من تداخـل التحليلات التي تخـصّ قوتها الاقتصاديـة وموقعها الجيوسـياسي. أما في قسـم القدرة على العمليات العسـكرية، فسـوف نتنـاول المقاربات حول تكتيـكات الحرب غير المتكافئة والطرق شـبه العسـكرية التي تميّز إيران عـن أيّ دولة أخرى، وفي النهاية سنُناقَش طاقة التسلّح لديها، ومكانة هذه الطاقة في مفهوم الحرب غير المتكافئة.

وأمـا مصـادر النوع الثاني مـن القوة، التي تُشـير إلى البُعد المجرّد لها، فتشـمل موضوعات مثـل الديـن، والقيـم، والمعتقـدات، والأيديولوجيـة والعلم. وعقـب انتهاء الحـرب الباردة، ونتيجة ظهور تصورات ومجالات جديدة في النظام العالمي الجديد وحدوث تغييرات في نوعية السياسـة الدوليـة– حدثت أيضًا تغيـيرات في المناهج تجاه مصطلح القوة، وأصبحت أشـكال القوة المجردة ذات أهمية متزايدة. هذا الوضع اصطحب معه أيضًا تغييرات حول تعريف القوة وموقعهـا. وقـد تخلّت الـدول في هذا السـياق عن النظر إلى القـوة بصفتها ظاهـرة تعتمد على المصادر المادية والملموسـة فقط، واكتشـفت باهتمام متزايد وجود طرق مختلفة لتغيير تصرفات الدول الأخرى وأهمية تلك الطرق. بُعد القوة الذي نقصده هنا، هو ما يُسـمّى بـ"الوجه الثاني للقوة"[6] أو "القوة الناعمة"[7]، وتظهر بصفتها وسيلة للحصول على اعتبار في الصعيد الدولي من خلال التأثير بشكل غير مباشر في الطرف الآخر بالاستناد إلى رضاه. وتهدف القوة الناعمة إلى تطويـق أذهان مواطني المجتمعات الأخرى واختيار طريق الإقناع، والهدف الأول هنا يتكون من الرأي العام في الدول الأخرى.

عنـد الأخذ بعين الاعتبار أن القوة الناعمة تهدف إلى تغيير تصرفات الدول الأخرى، وإلى التأثير في المجتمعات بطريقة غير مباشرة باستخدام وسائل مثل الثقافة، والأيديولوجيا، والمُثُل الأعلى، والقيم الأخلاقية– فإنه ينبغي على الدول، من أجل زيادة نجاحاتها في استخدام القوة الناعمـة أن تضـع أمـام ناظريها، امتـلاك كل دولة ومنطقة، ميـزات ثقافية، ودينية، وسياسـية

يمكن عَدُّ جهود إيران، في الاستفادة من عوامل القوة الناعمة لشرعنة سياساتها، الوجه الجديد للقوة. هذه القوة مركبة من عناصر ثقافية، وأيديولوجية، وسياسية، وفكرية، وبفضل نوع الحكم الخاص بها، ومفهوم السياسة الخارجية الناتجة عن هذا النوع من الحكم- تظهر لنا جمهورية إيران الإسلامية بوصفها دولة تمتلك عوامل القوة الناعمة الخاصة بها

واجتماعية مختلفة. من ناحية أخرى فإن تحديد المدى الجيوسياسي للقوة الناعمة لكل دولة، يمكن من خلال التحليل الصحيح لمدى تأثير عوامل القوة التي تمتلكها تلك الدولة في الدول والمناطق الأخرى. ويجب إجراء حسابات عميقة بشأن مدى إمكانية تأثّر الدول المستهدفة من القوة الناعمة، من جهة، وفي أيّ حالات يتعيّن استخدام القوة الصلبة، قبل أم بعد القوة الناعمة، من جهة أخرى. ومن ثَمّ فإنه من أجل تحديد كمية ونوعية القوة لدولة ما بشكل صحيح، ينبغي تعريف القوة وأنواعها، ووضع القوة التي تمتلكها تلك الدولة، ضمن الفئة الصحيحة المنسوبة إليها.

ويمكن عَدُّ جهود إيران، في الاستفادة من عوامل القوة الناعمة لشرعنة سياساتها، الوجه الجديد للقوة. هذه القوة مركبة من عناصر ثقافية، وأيديولوجية، وسياسية، وفكرية، وبفضل نوع الحكم الخاص بها، ومفهوم السياسة الخارجية الناتجة عن هذا النوع من الحكم- تظهر لنا جمهورية إيران الإسلامية بوصفها دولة تمتلك عوامل القوة الناعمة الخاصة بها.

سنعرّج خلال البحث في القسم المتعلق بالقوة الناعمة على دراسة القوة الناعمة لإيران في علاقاتها الدولية، ومقارنة عناصر هذه القوة بحسب مناطق مختلفة. رغم الاختلافات والخلافات التي تعيشها المنطقة، تقوم إيران من خلال تخطيطها وإجراءاتها المتعلقة بعناصر القوة الناعمة، بشكل ما، بممارسة الدبلوماسية الثقافية في العديد من الدول. بالإضافة إلى ذلك، تواصل العمل على زيادة نفوذها في المنطقة بالاستفادة من أدوات متنوعة. وأخيرًا يمكن القول إن إيران عملت خلال الأعوام الأخيرة على تشغيل آلية لقوة ناعمة، تقوم على الشراكات المذهبية، والدينية، والتاريخية والثقافية أكثر مما تقوم على الأدوات الأيديولوجية، وذلك بهدف زيادة قوتها الإقليمية وتأثيرها.

القوة الصلبة لإيران

الموقع الجيوسياسي لإيران

المقاربة الجيوسياسية في السياسة الخارجية الإيرانية

بحسب العديد من الباحثين الذين يرون أن السياسة الخارجية لإيران تستند إلى ميزات تاريخها وجغرافيتها الثقافية، فإن السياسة الخارجية لإيران تحت تأثير عناصر ثابتة وغير متغيرة، وإن هذه العناصر تنجم عن محيطها الطبيعي والاجتماعي. وقد تناولنا في مجالين أساسيين الإمكانيات الجغرافية التي تعزز المكانة الجيوسياسية والجيوستراتيجية لإيران،

وتجعلها قوة فاعلة ومهمّة: المجال الأول هو موقع إيران على الطريق الدولي الواصل بين آسيا الوسطى والقوقاز، وامتلاكها لسواحل بحرية طويلة، وهذه السواحل تتمتع بنقاط إستراتيجية، والمجال الثاني هو أنها تقع في حوضين كبيرين للطاقة.

السيطرة على سواحل طويلة ونقاط إستراتيجية:

إن مجاورة إيران لبحر قزوين وبحر العرب والخليج العربي تحقّق لها فرصة جيّدة وسهولة كبيرة في النقل والشحن البحري. ويُعدّ القوقاز، والخليج العربي، وبحر العرب، وحوض المحيط الهندي، وحوض الهضبة الإيرانية، وحوض آسيا الوسطى، وحوض قزوين من بين الأماكن الجيوسياسية المجاورة لإيران. كما أن امتلاك إيران لجزر مهمّة في الخليج العربي وسيطرتها على مضيق هرمز يزيدان من أهمية المكانة الجغرافية لهذا البلد.[8] ومن ناحية ثانية، تمتلك إيران سواحل طويلة على بحر قزوين، وبناءً عليه فإن وقوع السواحل القزوينية على الطريق الواصل بين أوروبا والشرق الأوسط من جهة، وبين القوقاز وآسيا الوسطى من جهة أخرى- يؤثر إيجابًا في القوة الصلبة لإيران.[9] يعني أن إيران من جهة تؤدّي دور الجسر الواصل بين أوروبا والشرق الأقصى، ومن جهة أخرى، تقع على الطريق البري الذي يصل دول آسيا الوسطى والقوقاز بالمياه الدولية.[10] كما تزيد من أهمية المكانة الجيوسياسية لإيران وجود حدود لها على الخليج العربي وبحر العرب، وسيطرتها على نقاط إستراتيجية، كمضيق هرمز والجزر. وعندما نضيف إلى ما سبق حيوية هذه الأماكن في مجال نقل الطاقة، فإن الأهمية الجيوسياسية لها تتضاعف بشكل أكبر.

عند مراعاة دور إيران في الخليج العربي وبحر قزوين، فإنها تعدّ لاعبًا مؤثرًا في كمية مهمّة من البترول والغاز الطبيعي في العالم. ورغم أن حصة إيران من الطاقة في منطقة قزوين ليست كحصتها في الخليج العربي إلا أن عدم وجود طريق بديل لعرض هذه المصادر أفضل من إيران يزيد من قوة إيران الجيوسياسية في الطاقة

وقوعها ضمن أكبر حوضين للطاقة

عند مراعاة دور إيران في الخليج العربي وبحر قزوين، فإنها تعدّ لاعبًا مؤثرًا في كمية مهمّة من البترول والغاز الطبيعي في العالم. ورغم أن حصة إيران من الطاقة في منطقة قزوين ليست كحصتها في الخليج العربي إلا أن عدم وجود طريق بديل لعرض هذه المصادر أفضل من إيران يزيد من قوة إيران الجيوسياسية في الطاقة.[11]

إن موقع إيران على حوض الطاقة الكبير حقق لها فرصة مهمّة لممارسة الضغوط على الصعيد الدولي، أو مواجهة الضغوط الممارسة عليها؛ لأن التهديد بعرقلة ممرات البترول والغاز الطبيعي من شأنه أن يترك العالم في مواجهة أزمة كبيرة. وتعدّ هذه الخاصية نموذجًا مهمًّا للقوة الصلبة التي تمتلكها إيران على المستوى العالمي، حيث يمكن لها إغلاق مضيق هرمز، الذي تسيطر عليها، في حال نشوب أزمة ما. كما أن إيران لديها القدرة على ضرب

جميع المصافي والمنشآت البترولية الموجودة على البر والبحر في المنطقة. في الوقت نفسه، يعدّ ذلك جزءًا من حرب إيران غير المتكافئ ضد الولايات المتحدة، وإن خطوة كهذه من شأنها أن ترفع أسعار النفط إلى مستويات مخيفة، وتتسبب بأزمة كبيرة في الاقتصاد العالمي.[12] ويُعتقد أن إغلاق مضيق هرمز فقط وتهديد مسار وطرق نقل الطاقة سيرفعان سعر برميل النفط إلى 200 أو300 دولار أمريكي تقريبًا، وهذا في حد ذاته يكفي لترك الاقتصاد العالمي في مواجهة كارثة كبيرة.[13]

جيوسياسية الطاقة

عند النظر إلى قوة وقدرة دولة ما من الناحية الجغرافية السياسية نلاحظ أنها مرتبطة بشكل مباشر بالموارد الطبيعية التي تمتلكها. وتعدّ مسألة الاستفادة الصحيحة من موارد الطاقة الممتلكة من بين العوامل المهمّة للقوة الوطنية للدول. والدولة التي تمتلك القدر الأكبر من هذه الموارد والإمكانيات تكون ذات تأثير أكبر في الأحداث الإقليمية. إن احتياطيات البترول والغاز الطبيعي التي تمتلكها إيران تعدّ ذات أهمية كبيرة لجميع دول العالم، وإن حاجة العالم الصناعي للطاقة في عصرنا تمهد الطريق لتغييرات مهمّة في ميزان قوى الدول العظمى. على سبيل المثال، السيطرة على الطاقة وطرق نقلها في الخليج العربي الذي توجد فيه احتياطيات كبيرة من البترول والموارد الطبيعية- تفتح الطريق أمام التنافس الشديد بين تلك القوى. كذلك فقد تحولت غالبية الدول الموجودة في هذه المنطقة والتي تصدر البترول إلى قوى مهمّة في السياسة العالمية بمجرد اكتشاف امتلاكها للموارد المهمّة، كالبترول والغاز الطبيعي. ويحظى هذا الوضع بأهمية كبيرة من وجهة نظر السياسة العالمية؛ بسبب استمرار البترول والغاز الطبيعي في تحقيق قوة كبيرة. يمكن للدول المنتجة للبترول أن تطور فيما بينها سياسات متلائمة، وأن تؤثر بشكل فعّال في الدول المستهلكة.[14] إن التغييرات التي تشهدها الساحة الجيوسياسية في يومنا، وتحولها إلى جيواقتصادية- أكسبت المسألة أهمية أكبر. في هذا السياق، تتبوّأ إيران مكانة محورية في منطقة تتمتع بمكانة حيوية من ناحية إنتاج ونقل البترول والغاز الطبيعي العالميين. على سبيل المثال وبحسب معطيات عام 2011، نُقِل 17 مليون برميل من النفط الخام يوميًّا من مضيق هرمز وحده. وعُرِض 85٪ من هذه الكمية في الأسواق الآسيوية.[15] لذا تتمتع إيران بمكانة مركزية من الجهتين فيما يتعلق بجيوسياسية الطاقة العالمية. من جهة أخرى وبحسب البيانات المتوفرة، فإن إيران من بين الدول الرائدة في مجال الإمكانيات النفطية، وإن كانت إيران خلال سنوات طويلة تأتي في المرتبة الثانية بعد روسيا في مجال الغاز الطبيعي بامتلاكها حوالي 30 ترليون متر مكعب، إلا أنها تقدمت على روسيا في السنوات الأخيرة، بعد اكتشافها احتياطيات جديدة.

بحسب معطيات عام 2011، نُقِل 17 مليون برميل من النفط الخام يوميًّا من مضيق هرمز وحده. وعُرِض 85% من هذه الكمية في الأسواق الآسيوية.15 لذا تتمتع إيران بمكانة مركزية من الجهتين فيما يتعلق بجيوسياسية الطاقة العالمية

ووفقًا لذلك فإن إيران تمتلك إمكانية نقل الطاقة بين محاور الشمال-الجنوب، والشرق-الغرب، وبالعكس؛ بفضل موقعها الجيوسياسي والجيواقتصادي، وامتلاكها للبترول والغاز الطبيعي بكميات كبيرة، وموقعها المتلائم والمرتبط بين الخليج العربي، وبحر قزوين وآسيا الوسطى؛ لذا فإن أمن إيران يعد مهمًّا بالنسبة للأطراف الدولية.

قدرات إيران الحربية

الحرب غير المتكافئة

تتبوأ الحرب غير المتكافئة ضد دولة ما أو الدول الأعداء مكانة مهمّة بين الإستراتيجيات العسكرية الأساسية لإيران، وتتضمن هذه الإستراتيجية ضربات فجائية مروعة، تقضي على تكنولوجيات الأمن والدفاع لدى العدو.[16] وبهذه المقاربة فإن إيران -وبفضل منظومة دفاعها التي تركز على نقاط الضعف لديها أكثر من تركيزها على زيادة قدراتها في مجالات الدفاع المعروفة- سعت إلى تحويل نقاط الضعف هذه إلى فرص لصالحها.

شك أن استفادة إيران من تكتيكات الحرب غير المتكافئة لا يعني أنها لا تهتمّ بطرق الحرب التقليدية، كنظم الجيوش البرية المنظّمَة، أو أنها لا ترغب في الاستفادة منها؛ على العكس تمامًا، فإنها تهدف إلى زيادة قدرتها وقوتها من خلال الاستفادة من الإمكانيتين بنفس الوقت

وتماشيًا مع هذه العقيدة العسكرية اهتمت إيران بأدوات وطرق الحرب غير المتكافئة، وركزت على نقاط الضعف لدى العدو، فعلى سبيل المثال، يمكن زعم أن إيران ترى من متطلبات هذه العقيدة محاولة تشكيل وحدة من القوارب الصغيرة المجهزة بالصواريخ في الخليج العربي؛ وتهدف بهذه الخطوة إلى القدرة على الرد السريع، وقلب الأمور لصالحها في حال حدوث حرب في الخليج العربي.

ولا شك أن استفادة إيران من تكتيكات الحرب غير المتكافئة لا يعني أنها لا تهتمّ بطرق الحرب التقليدية، كنظم الجيوش البرية المنظّمَة، أو أنها لا ترغب في الاستفادة منها؛ على العكس تمامًا، فإنها تهدف إلى زيادة قدرتها وقوتها من خلال الاستفادة من الإمكانيتين بنفس الوقت.[17] في الواقع تهدف إيران إلى سد ثغرتها في مجال التكنولوجيا العسكرية، وأدوات الحرب التقليدية، ببذل الجهود في زيادة قدراتها في الحرب غير المتكافئة. ومن جهة أخرى، تواجه إيران القوات العسكرية الأمريكية في الخليج العربي، وفي ذات الوقت، تعاني صعوبات بسبب الحظر المفروض عليها في مجال المعدات العسكرية والأسلحة.

ولمواجهة القيود المفروضة عليها بنت إيران عقيدتها العسكرية على مهاجمة قواعد الولايات المتحدة ومصالحها في المنطقة، ولتحقيق هذه الغاية، بنت مخزونًا كبيرًا من الأسلحة، وتعدّ صواريخ بر- بحر، والقوارب السريعة، والطائرات بدون طيارين ذات المدى البعيد،

والقـوارب البحريـة، والمَرْكَبـات البرمائية- التـي تمتلكها إيـران من الاحتياجات الأساسـية للعقيدة العسكرية المذكورة، وجميع هذه الأسلحة خاصة بالحرب غير المتكافئة.

القوة العسكرية لإيران

تمتلك إيران كأيّ دولة أخرى عناصر مسـلحة تقليدية، كالقوات المسـلحة، وقوى الأمن؛ إلا أنـه عنـد الحديث عن القوة الصلبة لإيـران، فمن الأفضل التركيز على الوحدات المسـلحة الخاصة بها، التي تميزها عن غيرها من الدول.

هذه الوحدات هي الباسـيج، والحرس الثوري، ولواء القدس. تشكّلت الباسيج على هيئة حركـة من الميليشـيات المتطوعة، في أعقاب الثورة الإسـلامية الإيرانيـة، بتاريخ 26 نوفمبر/ تشريـن الثـاني 1979، وتحديـدًا بصفتها "قوة مسـلحة مـن المتطوعين، تشـكلت بهدف حماية الثورة الإسلامية من التهديدات الداخلية والخارجية".

ومـما زاد مـن قوة الباسـيج ورفـع مكانتهـا ضمن النظـام الإيـراني النجاح الـذي حققتها خـلال الحـرب العراقيـة- الإيرانية في ثمانينيات القـرن الماضي. وبفضل ذلك تُعدّ الباسـيج في الوقـت الراهن مـن بين أهم القوات في إيـران، وتتولى في الوقت الراهـن مهمّات في الأحداث

تشكّلت الباسيج على هيئة حركة من الميليشيات المتطوعة، في أعقاب الثورة الإسلامية الإيرانية، بتاريخ 26 نوفمبر/تشرين الثاني 1979، وتحديدًا بصفتها "قوة مسلحة من المتطوعين، تشكلت بهدف حماية الثورة الإسلامية من التهديدات الداخلية والخارجية"

الاجتماعية بشكل أساسي. وبخاصة عندما تكون هناك مظاهرات معارضة للحكم، فإن عناصر من الباسيج بالزي المدني أو العسكري تتولى مهمّة التدخل الرئيس لفض تلك المظاهرات. وتشكلت الباسيج التي تضم أكثر من عشرة ملايين عضو، على أساس التطوع، ويوجد لها أعضاء من طبقات المجتمع كافة، ومن أصحاب جميع المهن.[18]

وتشَكّلَ جيش الحرس الثوري الذي تنتمي إليه قوة الباسيج بعد فترة وجيزة من قيام الثورة الإسلامية الإيرانية، بتاريخ 22 نيسان 1979، وحقق خلال سنة واحدة نجاحًا تنظيميًّا سريعًا وواسعًا على مستوى إيران، وضمّ إليه العديد من الرجال والنساء، وعند اندلاع الحرب العراقية وقف الحرس الثوري بكامل قواه إلى جانب القوات المسلحة الإيرانية في تلك الحرب.

ومع تنامي قوة الحرس الثوري، وظهور متطلبات جديدة في أثناء الحرب، تقرر في 17 سبتمبر/ أيلول 1985 تشكيل قوات الحرس الثوري البرية، والجوية، والبحرية. ويعدّ جيش الحرس الثوري من أهم القوات المسلحة الإيرانية. ويُعدّ وضع الخليج العربي ومضيق هرمز –اللذين يتبوّآن أهمية حيوية في إستراتيجية إيران الدفاعية– تحت حماية القوات البحرية للحرس الثوري وإشرافها، بالإضافة إلى تولي الأخير إدارة أنظمة الصواريخ، التي تُعدّ أهم آلة عسكرية لإيران– مؤشرًا على أهمية هذا الجيش بالنسبة لإيران.

ومع أن الحرس الثوري يتولى المهمّة الأساسية في جميع المجالات العسكرية، إلا أن مهامّه ليست مقتصرة على النظام العسكري فحسب. وأدّى الحرس الثوري أيضًا دورًا مهيمنًا في إعادة إعمار البلاد وتنميتها وتطويرها عقب الحرب الإيرانية– العراقية التي استمرت ثماني سنوات، ليتحول بعدها إلى قوة اقتصادية في البلاد. وحاليًّا تتبع كبرى الشركات الإيرانية للحرس الثوري، حتى إنه يمكن القول إن الحرس الثوري يُشكّل العمود الفقري لإيران في المجالين العسكري والاقتصادي.

والاسم الكامل للكيان هو جيش الحرس الثوري الإسلامي، وقد أُهمِل ذكر كلمة إيران في الاسم عمدًا، لأن الخميني والكادر المؤسس للثورة يعتقدون أن هذا الجيش هو الحرس الثوري للأمة الإسلامية بأكملها، لا أنه مقتصر على إيران فحسب.[19]

ننتقل إلى لواء القدس الذي يعمل على شكل وحدة فرعية للحرس الثوري، وإلى المقاتلين بالوكالة الذين يحتلون مكانة مهمّة بين عناصر القوة الصلبة لإيران. أقدمت إيران من خلال تشكيل ألوية القدس عام 1990، بوصفها وحدة متفرعة عن الحرس الجمهوري، للاستفادة منها في العمليات الخارجية– على بناء شبكة من المجموعات المقاتلة بالوكالة وقوات ميليشيا؛

بهدف استخدامها قوة هجومية على أهداف إقليمية ودولية معينة، وتتمتع أنشطة ألوية القدس بالسرية عمومًا، وتأخذ أوامرها من أعلى سلطة قرار في إيران، وتقدم تقاريرها مباشرة إلى المرشد الأعلى، كما أنها تستفيد من التكتيكات الدبلوماسية والميليشياوية بنفس الوقت.

تستفيد إيران من ألوية القدس التي تمارس أنشطتها في العديد من دول العالم في الحفاظ على مصالحها القومية في الخارج، وتحاول في هذا الصدد إيجاد مبادرات عسكرية، وسياسية واقتصادية سرية. ومن بين أنشطتها: العمليات الاستخباراتية، والدبلوماسية السرية، والتعليم، وتأمين السلاح، وتمويل المجموعات غير الشرعية، وتقديم المساعدات الإنسانية والاقتصادية في البلدان الإسلامية التي تتعرض للكوارث الطبيعية.

يقوم أعضاء ألوية القدس في الخارج بإقامة علاقات مباشرة مع مواطني تلك الدول، من خلال تعريف أنفسهم بأنهم موظفون مدنيون، أو عمال منظمات إغاثية ومراكز ثقافية، كما أنها تقدم الدعم للمجموعات غير الشرعية في العديد من المجالات، كالمال، والسلاح، والتعليم العسكري. حين تقيم ألوية القدس علاقات مع تنظيمات غير شرعية، فإنها تتحرك بشكل منفصل عن صلاتها وارتباطاتها الأيديولوجية، ويمكن لها أن تدعم مجموعتين معارضتين لبعضهما من الناحية الأيديولوجية؛ حتى إنها لا ترى بأسًا بدعم المجموعات المتقاتلة مع بعضها، عندما يتعلق الأمر بمصالح إيران.

الحروب بالوكالة

تعتمد إيران في توسيع نفوذها خارج حدودها -منذ أمد بعيد- على منظمات مسلحة أسستها أو قدمت لها الدعم، مثل حزب الله اللبناني، ومجموعات شيعية مسلحة في العراق، أو مجموعات مقاومة في فلسطين، حتى إن بعض المجموعات الوكيلة هذه، أحدثت تغييرات مهمّة في مجال الحرب غير التقليدية. وزادت هذه المجموعات من قوة إيران، وقدرتها على المساومة والردع، وإجراء عمليات بنسبة كبيرة.

ولاسيّما أن ضعف المجتمعات الشيعية وتعرضها للضغط في الدول، التي تعيش فيها، دفعها للبحث عن قوة تؤمّن لها الحماية والدعم، وهذا ما دفع إيران لمساعدتها في تشكيل قوة ميليشيا منها، تَعدُها بحماية مصالحها، وتتحرك وفق سياساتها. ولم تتراجع هذه المجتمعات التي رأت الدعم الإيراني لها طوال فترات تعرضها للضغوط، عن التحرك بموازاة السياسة الإيرانية أبدًا، وهذا الوضع لم يتغير عند تخلصها من الضغوط والاضطهاد، كما حصل في العراق، ووصولها إلى الحكم، حيث إنها استمرت بنسبة كبيرة في نفس النهج الذي كانت عليه. واليوم، تواصل إيران في أن تكون قوة موجّهة في العديد من المناطق، مثل سوريا، واليمن، ولبنان، بفضل استثمارها في هذه المجموعات الوكيلة منذ زمن طويل. من جهة أخرى، نجحت إيران، فيما

يتعلق بقدراتها العسكرية، في أن تصبح قوية في المناطق الواقعة خارج الخليج العربي، من خلال الاستفادة من العناصر غير الحكومية.

ووضع إيران –ضمن إستراتيجية سياستها الخارجية– إسرائيل عدوة كبيرة إلى جانب الولايات المتحدة يُظهر أهمية تمكنها من الاستفادة من الحروب بالوكالة، في المناطق، التي تقع خارج الخليج العربي.

تستطيع إيران توجيه وكلائها إلى ساحات القتال المختلفة إذا اقتضت الحاجة، ويُعدّ إرسال حزب الله اللبناني، والمجموعات الشيعية العراقية والأفغانية إلى الحرب في سوريا من الأمثلة على ذلك. كما أن إيران لا تُبقي هذه المجموعات للاستفادة منها في حال نشوب حروب عامة فحسب، بل تستفيد منها أيضاً بمعاقبة أطراف أخرى

وفي حال نشوب حرب إيرانية– إسرائيلية سيقف إلى جانب إيران، حزب الله، ومجموعات مقاومة حليفة لها في فلسطين، بوصفها ميليشيات تحارب إسرائيل. ويمكن القول إن هذه الميليشيات الحليفة لإيران لا تكتفي بالوقوف إلى جانب إيران ضد إسرائيل فحسب، بل إنها تملك القدرة على أن تقف ضد الولايات المتحدة أيضًا إذا تطلب الأمر.

إضافة إلى ذلك تستطيع إيران توجيه وكلائها إلى ساحات القتال المختلفة إذا اقتضت الحاجة، ويُعدّ إرسال حزب الله اللبناني والمجموعات الشيعية العراقية والأفغانية إلى الحرب في سوريا من الأمثلة على ذلك. كما أن إيران لا تُبقي هذه المجموعات للاستفادة منها في حال نشوب حروب عامة فحسب، بل تستفيد منها أيضًا بمعاقبة أطراف أخرى، أو في عمليات انتقام، أو ترهيب عند الضرورة. على سبيل المثال، فإن إيران ساعدت حزب الله اللبناني في الهجوم على مقر القوات البحرية الأمريكية في لبنان بتاريخ 23 أكتوبر/ تشرين أول 1983. وكانت حصيلة الهجوم مقتل 241 جنديًّا أمريكيًّا، أعقبه اتخاذ الولايات المتحدة قرارًا بالانسحاب من لبنان.

وتفضّل إيران في العمليات الخارجية استخدام المجموعات التي تقاتل بالوكالة بدل الانخراط هي بنفسها؛ لأن الاستعانة بالمجموعات الوكيلة تقدّم لإيران إمكانية رفض كل الاتهامات الموجهة إليها، وعرقلة الرد عليها من قبل العدو. لكن ثمة مشكلة بالنسبة لإيران فيما يخص جانب عدم سيطرتها في بعض الأحيان على هذه الجيوش المقاتلة بالوكالة، ففي عام 2007 مثلًا، دخلت الميليشيات الشيعية في العراق في مناوشات بينها، واشتبك بعضها مع بعض، وهو ما تسبب في إضعاف الحكومة المركزية في العراق التي كانت تحت سيطرة إيران أيضًا. وفي نهاية الأمر تمكنت الحكومة المركزية العراقية من التغلب على جيش المهدي والمجموعات الشيعية الأخرى، وإنهاء هذا الصراع، لكن هذه الجيوش المقاتلة بالوكالة، تصرفت بشكل يضر بالمصالح الإيرانية ويعرضها للخطر.

وأخيرًا تجدر الإشارة إلى أن استفادة إيران من المجموعات المقاتلة بالوكالة واقعية أكثر من كونها أيديولوجية، لذا استفادت إيران من المجموعات والميليشيات المتمردة المختلفة في العراق. فإيران تدعم الحكومة المركزية العراقية، وفي الوقت ذاته تدعم مجموعات أخرى كألوية البدر، وجيش المهدي، وعصائب أهل الحق. وقد اشتبك بعض هذه المجموعات مع بعض أحيانًا، وتصرفت في كثير من الأوقات على نحو يضعف قوة الحكومة المركزية. كما أن إيران لم تهمل الاستفادة من المجموعات السلفية أيضًا عند اقتضاء الحاجة، ومن الأمثلة على ذلك وجود مزاعم بأن إيران دعمت مجموعة "أنصار الإسلام" لمواجهة تنامي قوة الأكراد شمالي العراق، ودعمت القاعدة لإطالة أمد الحرب مع الولايات المتحدة في العراق.

طاقة التسلّح

تعد إيران، من وجهة نظر إستراتيجية، دولة محرومة من حليف ذي ثقة، أو من قوة عظمى تحميها من غيرها. هذه المسألة توضّح لنا، إلى حد ما، موقع إيران بوصفها دولة فارسية شيعية، بالنسبة للشرق الأوسط، الذي يسيطر عليه العرب السنة والأتراك. هذا الوضع، حين اجتمع مع حقيقة السياسة، التي انتهجتها إيران منذ ثورة عام 1979، والتي أزعجت قوى إقليمية وعظمى، في العديد من الموضوعات، مهّد الطريق لابتعاد جيرانها عنها، وانعزالها عن النظام الدولي. عقب ثورة عام 1979 والهجوم على العراق سنة 1980، كان وضع إيران ضعيفًا جدًّا من الناحية العسكرية، ومنعزلًا من ناحية العلاقات الدولية؛ لذلك بقيت إيران وحيدة خلال مرحلة حربها مع العراق، وكانت القوات الإيرانية آنذاك لا تمتلك من العتاد العسكري إلا الأسلحة الأمريكية والأوربية التي بقيت من عهد الشاه، كما أن تأمين القطع البديلة لتلك الأسلحة كان مستحيلًا، بسبب حظر توريد السلاح الذي فرضه الغرب على إيران. لذا بذل الإيرانيون جهودًا لعدم تكرار هذه التجربة مرة أخرى، وركّزت إيران جهودها على الصناعات العسكرية المحلية، لتقليل اعتمادها على الخارج، وأحد أسباب هذه الجهود هو تقليل تأثير العقوبات المستقبلية في بناء جيش حديث، وكذلك رغبة إيران في تطوير برنامجها النووي، مرتبطة بجهودها المؤهلة. ومن الطبيعي أن يتوصل المسؤولون الإيرانيون إلى فكرة بشأن ضرورة تطوير الصناعات المحلية وتعزيزها من أجل تلبية احتياجات البلد الدفاعية. بدأ العمل بالصناعات المحلية تحت إشراف وإدارة الحرس الثوري، حيث باشر التنظيم في الصناعات الدفاعية من أجل بحث وتطوير وإنتاج الأنظمة اللازمة للدفاع البري، في حين أن مؤسسات أخرى بذلت جهودها في مجال الصناعات الدفاعية البحرية، والجوية، والفضائية، وفي صناعات الحرب الإلكترونية. خطت إيران خطوات مهمّة من أجل الوصول إلى أهدافها

تعد إيران، من وجهة نظر إستراتيجية، دولة محرومة من حليف ذي ثقة، أو من قوة عظمى تحميها من غيرها. هذه المسألة توضّح لنا، إلى حد ما، موقع إيران بوصفها دولة فارسية شيعية، بالنسبة للشرق الأوسط، الذي يسيطر عليه العرب السنة والأتراك

الدفاعية من خلال استثماراتها في الصناعات المحلية، واستيرادها التكنولوجيا وأنظمة السلاح الرئيسة من الاتحاد السوفييتي، والصين، ومن كوريا الشمالية؛ لذا لعبت العقوبات والحظر المفروض على إيران، في الواقع، دورًا مقوّيًا للصناعة الدفاعية الإيرانية، كما أنها اتبعت سياسة حازمة لتقوية جيشها. وهذه الجهود أثمرت في امتلاك الحرس الثوري والجيش مخزونًا كبيرًا من الأسلحة والصواريخ، ومن المعروف امتلاك هذه القوات معدات إلكترونية عسكرية، وطوربيدات بحرية، وطائرات الصاعقة، والقدرة على تصنيع صواريخ بالستية بالاستفادة من تقنية الوقود الصلب، لكن إيران رغم كل هذه الجهود لا تتحرر من اعتمادها في المجال العسكري على الخارج.

كما أن الاهتمام الذي أظهره رجال الدولة الإيرانيون لزيادة قوة الردع أثر بشكل كبير في بناء البرنامج الدفاعي للبلاد، وكانت إيران قد تعرضت في مراحل مختلفة لتهديدات عراقية، وأمريكية، وإسرائيلية. وقد هددت هذه المخاطر على الدوام إيران من جهة الغرب (العراق، إسرائيل)، ومن الجنوب (القوات البحرية الأمريكية في الخليج العربي). وبدأت إيران عقب احتلال الولايات المتحدة أفغانستان والعراق- تعيش هاجس حصارها من خلال جيرانها.

لذلك فإن نظام الجيش الإيراني يظهر مدى إدراكه لتهديدات تقليدية من هذا النوع. وكانت القوات البرية الإيرانية قبل الهجوم الأمريكي على العراق عام 2003 متمركزة على الحدود العراقية، إلا أن أغلب قواتها الجوية كانت موجودة في منطقة الخليج العربي بالإضافة إلى الحدود العراقية، أما قواتها البحرية فكانت ولا تزال حتى الآن متمركزة في الخليج العربي.

أنفقت إيران جزءًا كبيرًا من ميزانيتها الدفاعية على سياسة ردع العدو، والاستفادة من نقاط ضعفه، وعلى الحرب البحرية غير المتكافئة، وزيادة قدرتها الصاروخية، في حال أخفقت في سياستها هذه. والسبب الأول لتشكيل النظام العسكري بهذا الشكل هو التهديد العراقي، والأمريكي والإسرائيلي الملموس، في حين أن السبب الثاني هو وجود النفط والغاز اللذين يشكلان أهم ثروة اقتصادية بالنسبة لإيران، في منطقة الخليج العربي.

ويمكننا تلخيص الخطوات التي قامت بها إيران من أجل زيادة قوة ردعها على الشكل الآتي:

1. اكتساب القدرة على إغلاق منافذ الخليج العربي لعرقلة تصدير البترول، وإغلاق تلك المنافذ بشكل يهيئ لها الاستعداد للحرب على أعدائها.

2. زعزعة أمن البلاد المجاورة واستقرار ها من خلال مواطنيها الشيعة، وامتلاك القدرة على تنفيذ هجمات في مناطق مختلفة، وذلك بالتعاون مع حزب الله اللبناني، ومجموعات شيعية أخرى في العراق.

3. امتلاك قوة صاروخية تقليدية، وربما مستقبلًا رؤوس نووية.

4. بعد الهجوم الأمريكي على العراق سنة 2003، سارعت إيران إلى امتلاك قوة ردع رابعة؛ حيث تلقت قوات الباسيج والحرس الوطني تعليمات وتدريبات جديدة ضمن إطار اللامركزية.

5. إضافة إلى زيادة قدراتها العسكرية قامت إيران من أجل زيادة قوة الردع لديها وتعزيز صورتها بالخطوات الآتية:

تعزيز خطاب نشر ثقافة الجهاد والمقاومة بين الشيعة، بهدف إرهاب العدو وإظهار نفسها بمظهر القوي.

تمديد شبكة خطوط النفط والغاز من خلال التعاون مع دول الجوار، وربط شبكة كهرباء تلك الدول بشبكتها الداخلية (مثلًا يُؤمَّن 10٪ من كهرباء العراق من إيران)، وتأمل إيران من وراء هذا النوع من العلاقات المتبادلة -إضافة إلى المصالح الاقتصادية- تشكيل مجموعة ضغط (لوبي) في الدول المجاورة التي أغلبها حليفة للولايات المتحدة، لمواجهة احتمال شنّ الأخيرة هجومًا عليها.

تأمل طهران من محاولات تطوير علاقاتها مع العالم الإسلامي بشكل عام والشيعي بشكل خاص الحصول على دعم هذه الدول في حال تعرضها لهجوم، والدعاية التي تروّج لها المراكز الثقافية الإيرانية خارج البلاد، وشبكة رجال الدين الشيعة- تندرج في منحى تحقيق هذا الهدف.

الإستراتيجية الدفاعية لإيران

ترى إيران أن عدوها الأول هو الولايات المتحدة وإسرائيل، وحددت إستراتيجيتها الدفاعية في هذا السياق، واتخذت موقفًا حسب هذا السيناريو. في هذا الإطار، ركزت إيران جهودها على نقطتين: الأولى أن تكون قوة عليا في منطقة الخليج العربي التي يبرز الوجود الأمريكي فيها، والتي تعدها الجبهة الرئيسة في حال نشوب حرب ما، والثانية الوصول إلى قدرة صاروخية تهدد بها إسرائيل بشكل مباشر.

الأهداف الأمريكية في الخليج العربي

ترى إيران أن عدوها الأول هو الولايات المتحدة وإسرائيل، وحددت إستراتيجيتها الدفاعية في هذا السياق واتخذت موقفًا حسب هذا السيناريو. في هذا الإطار

تمتلك إيران القدرة على ضرب السفن الحربية والأسطول الأمريكي الموجود في الخليج العربي وبحر العرب بصواريخ مضادة للسفن؛ حتى إنها تمتلك القدرة على تهديد المصالح الأمريكية في المحيط الهندي، وفي خليج عدن أيضًا.[20] إضافة إلى ذلك تعد القوات البحرية الإيرانية المنظّمة على شكل عصابات جزءًا مهمًّا بالنسبة للقوة العسكرية الإيرانية. ونُظّمت القوات البحرية الإيرانية بشكل تستطيع تنفيذ هجمات مفاجئة وسريعة وتدمر الأهداف الكبيرة، وهي مجهزة بقوارب

صغيرة وسريعة. هذه القوارب تمتلك القدرة على زرع الألغام في الماء، وتنفيذ هجمات على السفن الكبيرة، وإلى جانب ذلك، اشترت إيران صواريخ مضادة للسفن من طراز سي801، و سي802 من الصين وطورتها. وحاليًّا يبلغ مدى هذه الصواريخ حوالي 200 كم، كما أن لدى إيران أنظمة استهداف متعددة. لا شك أن الولايات المتحدة، في الشروط العادية، تستطيع أن تسحب طراداتها وأساطيلها البحرية في حال الحرب، إلى مكان آمن على بُعد 400 كم، إلا أن المسافة بين الحدود البرية الإيرانية وبين الأسطول الخامس للولايات المتحدة في البحرين، فقط 190 كم، يعني أن جميع النقاط العسكرية الأمريكية تحت مرمى هذه الصواريخ. كما أن إيران تمتلك نظام صواريخ مضادة للسفن تُطلق من الأرض.[21] إضافة إلى صواريخ تُطلق من السفن وطائرات الهليكوبتر، وتمتلك منصة صواريخ برية ومتنقلة، وضعتها على طول السواحل الشرقية للخليج العربي. في الوقت ذاته، لديها زوارق سريعة تسمى بـ"ذو الفقار" و"سراج1"، التي تتمتع بالقدرة على إطلاق صواريخ وطوربيدات، ويزيد من أهمية هذه القدرة، وجود أسطول عسكري للولايات المتحدة الأمريكية في الخليج العربي.

وتتمتع صواريخ "فاتح100" ذات الدقة العالية في إصابة الأهداف –والتي صنعت منها ثلاثة أجيال على الأقل– بالقدرة على ضرب الأهداف الأمريكية الموجودة في قطر، والإمارات العربية المتحدة، والمملكة العربية السعودية. وبإمكان صاروخ فاتح الذي يطلق عليه الإيرانيون اسم صاروخ لبنان ضرب منشآت النفط في الدول المذكورة؛ لأن هذه الصواريخ صُنّعت وفق الجغرافية اللبنانية، كما تمتلك إيران، بالإضافة إلى صواريخ فاتح، الكثير من صواريخ شهاب2 و3 التي تشكل نظامًا دفاعيًّا مهمًّا لإيران في الخليج العربي.

وعند النظر إلى الطرّادات الإيرانية نجد أنها صغيرة لا تستطيع في الأحوال العادية إظهار فعالية تجاه الطرّادات الأمريكية وطائراتها المعدّة لتدمير تهديدات من هذا النوع؛ لكن الوضع يختلف عندما يكون الأمر متعلقًا بالخليج العربي، حيث إن صغر حجم الخليج وقلة عمقه في بعض الأجزاء يعرقلان قدرة تحرك الولايات المتحدة فيه، كما أن الوضع ذاته ينطبق على القواعد العسكرية للدول المجاورة لإيران.

الهجوم الصاروخي على إسرائيل

يرى العديد من خبراء الأمن أن من بين الأسباب التي تصعّب هجوم الولايات المتحدة وإسرائيل على إيران– قدرة الأخيرة على ضرب إسرائيل. تمتلك إيران القدرة على ضرب إسرائيل بشتى أنواع الصواريخ التي بحوزتها، وعند التفكير بأهمية أمن إسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة يمكن إدراك أهمية ذلك.

تمتلك إيران في مخزونها الصاروخي نماذج متطورة من صواريخ "شهاب3" و"قدير1"، ويصل مدى هذه الصواريخ إلى إسرائيل، كما أن صواريخها من نوع "سّجيل2" لديها نفس

القـدرة.[22] يعنـي أن إيران تمتلك بدائل متنوعة لـضرب إسرائيل، إضافة إلى ذلك، فإنه في حال نشـوب حـرب بينها وبـين إسرائيل، فهي لن تكتفـي بإطلاق الصواريخ مـن أراضيها مباشرة فحسب، بل سيكون باستطاعتها القيام بذلك في نفس الوقت من لبنان، وسوريا، وغزة أيضًا.

كما رأينا فيما سـبق، فإن قوة إيران الدفاعية تعتمد على الصواريخ بشـكل عام، وزعم وزير الدفـاع الإيـراني أن بلاده في المرتبة الرابعة بعد الولايات المتحدة، وروسـيا، والصين من حيث القـوة الصاروخية.[23] تشـكل القدرة الصاروخية الإيرانية أسـاس قوتها العسـكرية، وتشـكّل صواريخ شهاب مركز هذه القوة.

تتميـز هـذه الصواريخ بمـدى أبعد مـن الصواريخ الإيرانيـة الأخرى، وتنتـج إيران هذه الصواريـخ بكميات كبيرة، بغية تحقيق التفوق النفـسي على الآخرين، أما النقطة الأخرى التي يجب الانتباه إليها في هذا الشـأن فهي: رغم أن الرأي السـائد، بأن القدرة الصاروخية الإيرانية مصممـة بشـكل يلائم الحرب غير المتكافئة فقط، إلا أنه يجـب الانتباه أن هذه التكاليف الهائلة للأنظمـة لا تُـصرف للاكتفـاء في أسـاليب الحرب غـير المتكافئة فحسـب. الحقيقـة أن القدرة الصاروخية الإيرانية هي قوة ردع عسكرية، يمكن استخدامها أيضًا في الحرب غير المتكافئة.

أما نقطة الضعف لدى إيران في الصناعات الدفاعية فهي القوات الجوية. في حال نشـوب حـرب مـا، يوجد لدى إيـران الكثير مـن الطائرات، لكنها لن تسـتفيد منها كـما ينبغي، بل إنّ كلفـة إبقائها تفوق قدرة إجرائهـا العمليات. نصف هذه الطائرات فقط لديه القدرة على تنفيذ العمليات، أما نصفها الآخر فهناك شكوك في أنه في حالة يصلح للاستخدام أم لا. لأن متوسط أعماره يفوق الـ35 عامًا؛ أي أنه موجود من قبل الثورة. وهذه الطائرات مستوردة من الخارج، لذلك هي بحاجة إلى قطع غيار، ولا تستطيع إيران تأمينها بسبب الحظر المفروض عليها.

القوة الناعمة لإيران

تحتوي إيران في بنيتها عناصر حضارية- ثقافية؛ لأنها تمثل حضارة قديمة أثرت في جغرافية واسـعة نسبيًّا خلال فترة تاريخية، وعناصر أيديولوجية؛ لأنها حققت ثورة عام 1979، ودينية ومذهبيـة لإضفائهـا الصفـة الإسـلامية على هذه الثـورة، بسـبب مكانتها لدى الشـيعة. ومن السـهل إدراك الفـرص التي توفرها هذه العنـاصر لإيران من ناحية إمكانيـات القوة الناعمة. لكن عند النظر إليها من وجهة نظر أخرى نجد أن احتمالية وجود تناقضات من حين لآخر بين هذه العناصر تجعلنا نرى أن الفرص التي تقدمها القوة الناعمة لإيران هي نفسـها التي تشـكل لهـا أضرارًا. مـن أيّ خصائص تنبـع القوة الناعمـة لجمهورية إيران الإسـلامية؟ وفي أيّ فترة كانـت لهـذه الخصائص أولية؟ وأيّ عنصر من القوة الناعمة يحقق فائدة أكبر عند اسـتخدامه؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة مهمّة، من جهة مساعدتها على فهم السياسة الخارجية لإيران.

عقب الثورة مباشرة، أقامت إيران علاقاتها مع الآخرين على أساس الأيديولوجيا الإسلامية والروحانية السياسية اللتين وضعهما مهندس الثورة الإيرانية الإمام الخميني، وهذا يعني تحويل الثقافة إلى أيديولوجيا. في هذه الفترة هدفت إيران، التي كانت تحمل مثالية "الأمة"، من خلال شعار "لا للشرق ولا للغرب"- إلى إظهار أنها لا تعطي قيمة لأي هوية غير الهوية الإسلامية؛ لكن نتيجة للشروط التي ظهرت مع مرور الوقت بدأت الهواجس "الإيرانية" المحددة. ودخلت السياسة الخارجية الإيرانية التي بدأت رحلتها من المثالية إلى الواقعية في مسعى لإعادة تموضع، وتجديد عناصر القوة الناعمة بحسب الشروط المتغيرة في الأماكن والفترات المختلفة. وفي الوقت الحالي، من جهة، تطرح إيران الأيديولوجيا الإسلامية في أرضيات مناسبة، كما كانت في البداية، ومن جهة أخرى، لا ترى بأسًا في تقديم العناصر الضيقة والذاتية عند الشعور بالحاجة إليها، كالهوية الفارسية والشيعية.

عقب الثورة مباشرة، أقامت إيران علاقاتها مع الآخرين على أساس الأيديولوجيا الإسلامية والروحانية السياسية اللتين وضعهما مهندس الثورة الإيرانية الإمام الخميني، وهذا يعني تحويل الثقافة إلى أيديولوجيا

تصدير الثورة

إن مسألة تصدير الثورة في جوهرها إحدى الخصائص النابعة عن طبيعة الثورات؛ لأن أيّ ثورة تحصل في منطقة ما من العالم، وإن كانت لا تحمل أيديولوجيا عالمية، فإنها على الأقل، تؤثر في الدول المجاورة؛ لقدرتها على الانتشار، وتتسبب بنشوء حركات ثورية فيها، أو على الأقل تكون مصدر إلهام لها. وكذلك فتحت الثورة الإسلامية الإيرانية في الفترة الأولى من قيامها -أي في الفترة التي كان يعجز فيها الثوار من تحديد سياسة خارجية متناسقة، واتخاذ خطوات وفقًا لها، بسبب انشغالهم بأمورهم الداخلية- الطريق أمام وقوع انفعالات في السعودية، والعراق، والبحرين، حاولت القيام بمظاهرات بفعل تأثير الثورة الإيرانية.[24] ومع تبني الثورة الإسلامية في إيران ادعاء حملها أيديولوجيا عالمية، أضحت مسألة تصدير الثورة مشروعًا بحد ذاته، وعند الحديث عن تصدير الثورة في إيران، يمكننا التطرق إلى مقاربتين رئيستين في هذا الشأن:

المقاربة الأولى: هي تصدير ثورة حقيقية، تهدف إلى إحداث ثورة في البلدان الأخرى، أما الثانية: فتُسمّى نظرية القارة الأم، وتقوم على فكرة تصدير ثورة ثقافية، بالتركيز على قيم الثورة، بدلًا من تصدير الثورة ذاتها.[25]

واستخدام عناصر القوة الناعمة بشكل فعال يكسب أهميته في هذه النقطة بالتحديد، والمقصود بتصدير الثورة الثقافية هو نشر قيم الثورة، وأهدافها، وتعاليمها وخطابها إلى شعوب العالم. والنقطة اللافتة هنا هي تحويل جميع الإمكانيات المحتملة اعتبارًا من هذه المرحلة إلى ثقافة. أي أنه سيتم عرض وتقديم جميع الإمكانيات التي كانت تقدّم سابقًا بصيغة أيديولوجية، على شكل صيغة ثقافية، لكن هذا الوضع سيمهد الطريق أمام فقدان الإمكانيات

المحتملة لصفة العالمية التي لا تتحقق إلا من خلال صيغة أيديولوجية، وتحولها إلى مجموعات إقليمية ومحلية. بعد هذه المرحلة بدأ رجال الدولة الإيرانيون التركيز على أن أبرز ميزات الثورة الإسلامية هو البعد الثقافي لها. أي أن المحور الثقافي سيشكل بعد ذلك الأرضية الأساسية للقوة الناعمة في السياسة الخارجية الإيرانية، وهذا المحور الثقافي، موضوع يجري الحديث عنه في اللغة الدبلوماسية على أنه تصديرٌ لثورةٍ ثقافية.

كان المذهب الشيعي في الفترات الأولى من الثورة يشكل قاعدة أيديولوجية عالمية، من خلال شعار "كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء". في المرحلة الثانية ظهر المذهب الشيعي على أنه مذهب يهدف للتأثير في المجتمعات الشيعية. أما في المرحلة الثالثة ومع تولي الشيعة الذين كانوا مطوّقين ومتأثرين- مقاليد الأمور في المناطق التي يوجدون فيها، فقد جرى تحفيزهم من أجل إقامة حكم مشابه لذلك الذي أقامته إيران، لإعادة استدعاء الجانب الأيديولوجي للثقافة، ويعد العراق أبرز نموذج لذلك

في هذه المرحلة، يواجهنا سؤال حيوي: من هو الآخَر المستهدف بالتأثير فيه من خلال عناصر القوة الناعمة؟ إذا أخذنا بعين الاعتبار أن عناصر القوة الناعمة هي اللغة، والثقافة الفارسية، والإسلام، والمذهب الشيعي- نستطيع أن نوجّه السؤال وفق الصيغة الآتية: هل المستهدفون بالنسبة لإيران أولئك الذين هم خارج إطار الثقافة الفارسية، والإسلام، والمذهب الشيعي أو هم على العكس من ذلك؟ يمكن الإجابة عن السؤال السابق بالنظر إلى عنصر القوة ناعمة وفي الموضع الذي تستخدمه إيران فيه. هل تقدّم إيران الإسلام لغير المسلمين أو للمسلمين؟ هل تستخدم الخطاب الشيعي لتؤثر في الشيعة أنفسهم أو في غيرهم؟ هل تُذكّر الغرب بالحضارة الفارسية -مثلًا- أو أولئك الذين عاشوا ضمن الجغرافية الفارسية خلال التاريخ؟ إذا نظرنا إلى الأعمال التي تُجريها إيران نرى أنها مهما كانت خطواتها نحو الأسلمة والتشيّع والتعريف بالحضارة الفارسية على مستوى عالمي، إلا أن المخاطبين بالإسلام هم المسلمون أنفسهم، وبالتشيّع هم الشيعة أنفسهم، وأن المخاطب بالحضارة الفارسية هو الجغرافية الفارسية التاريخية. ومن ثَمّ يظهر بشكل من الأشكال أن المقصود بالآخر هو نفسها.

وعلى ضوء ما ذُكر سابقًا، نرى أن مسألة تصدير إيران للثورة اكتسبت مرحلةً وبُعدًا آخر. كنا قد تحدثنا في المرحلة الأولى -مرحلة تصدير الثورة بشكل مباشر- عن تحوّل العناصر الكامنة للقوة الناعمة التي كانت في صيغة أيديولوجية إلى عناصر ثقافية في أثناء مرحلة تصدير الثورة الثقافية. أما في المرحلة الثالثة والأخيرة فسنُشاهد كيف أن الأيديولوجيا المتحولة إلى ثقافة، تقوم من خلال تطويق ثقافة الآخر، بإعادة تحويلها معها إلى أيديولوجيا مرة أخرى، وسنبيّن ما نقوله من خلال مثال لتوضيح المراد منه بشكل أفضل. على سبيل المثال، كان المذهب الشيعي في الفترات الأولى من الثورة يشكل قاعدة أيديولوجية عالمية، من خلال

شعار "كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء". في المرحلة الثانية ظهر المذهب الشيعي على أنه مذهب يهدف للتأثير في المجتمعات الشيعية. أما في المرحلة الثالثة ومع تولي الشيعة الذين كانوا مطوّقين ومتأثرين- مقاليد الأمور في المناطق التي يوجدون فيها، فقد جرى تحفيزهم من أجل إقامة حكم مشابه لذلك الذي أقامته إيران، لإعادة استدعاء الجانب الأيديولوجي للثقافة، ويعد العراق أبرز نموذج لذلك.

ولا بد من الإشارة إلى أن القوة الناعمة ذات الطبقية المتعددة لإيران، هي في الوقت نفسه نقطة ضعفها أيضًا؛ يعني أنها عندما تستفيد من المذهب الشيعي، تكون في مواجهة خطر الاصطدام مع باقي العالم الإسلامي، أما عندما تستفيد من الثقافة الفارسية تكون في مواجهة خطر الاصطدام مع باقي العالم الشيعي. ومن بين الأسباب المهمّة لخلافات إيران مع المجتمعات السنية، التي تشكّل القسم الأكبر للشرق الأوسط، هي أن المذهب الشيعي هو أحد عناصر القوة الناعمة لإيران. ومن جهة أخرى فإن مسألة "الإيرانيّة" تمهد الطريق لاستجواب إيران لدى الشيعة العرب، وتشير البحوث إلى أن العراقيين بمن فيهم الشيعة لا يثقون بإيران، ولا يوافقون على نمط الحكم الإيراني في بلادهم. هذه الاختلافات تحدّ من استخدام إيران لقوتها الناعمة في المنطقة، وفي الوقت ذاته، هذا الوضع يفسر سبب إسناد إيران قوتها الناعمة إلى قوتها الصلبة الخفية. حين تستخدم إيران قوتها الناعمة ولا تتصرف بطريقة ناعمة يل بإشراكها القوة العسكرية والاقتصادية في هذه المسألة، فإنها يمكن أن تُصعّب من وصولها إلى مصالحها المستهدفة من خلال استخدام القوة الناعمة.

أدوات القوة الناعمة لإيران

إن كل أشكال وطرق إجراء إيران عمليات القوة الناعمة، التي تسميها فعاليات دبلوماسية الثقافة- تتولاها مؤسسة العلاقات الثقافية والإسلامية التي تخصص الحكومة ميزانية لها. ومن بين مهامّ مؤسسة العلاقات الثقافية والإسلامية ما يأتي:

إقامة علاقات ثقافية بين شعوب العالم المختلفة بغية تطوير إمكانية الحوار واللغة المشتركة، وتأمين التبادل الثقافي، والتعريف الصحيح بالحضارة والثقافة الإيرانية- الإسلامية، وتطوير علاقات إيران الثقافية مع الدول والتنظيمات الدولية الأخرى، والعمل على تحقيق الوحدة الإسلامية، وتحقيق الفهم الصحيح لقيم ومعتقدات أهل البيت، وإقامة البرامج ضمن إطار تطوير الحوار بين الأديان والحضارات.

تحتوي المؤسسة في بنيتها جميع الممثليات الثقافية الإيرانية في العالم، وإذا كانت هذه الممثليات تتبع رسميًّا في الظاهر وزارة الثقافة إلا أنها في الواقع تحت إمرة المرشد الديني الأعلى وإشرافه، وتعدّ المؤسسة بهيئتها الحالية قوة مهمّة في الدبلوماسية الثقافية للمرشد الديني الأعلى، خارج حدود البلاد.

ورغـم أن أولوية المؤسسـة هـي تحقيق هدف إقامة علاقات وثيقة مع الشـعوب المسـلمة، إلا أنها فتحت مكاتب لها في أغلب دول العالم، ومن خلال هذه المكاتب تُنشَر اللغة الفارسـية والثقافـة الفارسـية، وتُطَـوَّر علاقات وثيقة مع المجتمعات الشـيعية في تلـك الدول. وكذلك أعطت مؤسسـة العلاقـات الثقافية والإسـلامية أولويتها للبلاد الإسـلامية، وبخاصة الدول التي تكثر فيها أعداد الشيعة، مثل العراق، وباكستان، ولبنان.

كما أن المؤسسة المذكورة نشطة في المجال الديني أيضًا، فهي تطوِّر علاقات وثيقة مع رجال الدين المحليين، وتقيم برامج مختلفة في المناسبات الدينية المهمّة. وإلى جانب ذلك ترسل رجال الدين من مدينة "قم" إلى مختلف أرجاء العالم خلال شـهر رمضان، وتدير الشعائر والفعاليات الدينيـة هنـاك. تحـاول إيران مـن خلال رجال الديـن الذين يتلقـون تعليمهم في قـم، والذين يعتقـدون وجـوب وصـول طبقة رجـال الديـن إلى الحكم والسـلطة- نشر نهجها الإسـلامي الخاص بها في العالم الشيعي، وجعله المفهوم الحاكم هناك. كذلك تسعى إيران من خلال توثيق علاقاتهـا مـع جميع المجتمعات الشـيعية في العالم تحويـل تلك المجتمعات إلى مقـرات خارجية تدافع عن سياسات إيران، وإلى جيوش تحارب إلى جانبها في حال الهجوم عليها.[26]

مجالات القوة الناعمة لإيران

اللغة والدين والعرق

تُعَدّ إيران من أكبر الدول الإسـلامية سـكانًا -إذ يبلغ عددهم 75 مليون نسـمة، (98٪) منهم مسـلمون- ومن أكثرها ازدحامًا ونشـاطًا، وفي هذا السـياق، تَعُدّ إيران الشرق الأوسط مـن أكثـر المناطق التي لهـا قرابة دينية معهـا. وفي الوقت عينه، فإن إيران دولة شـيعية، وغالبية الشيعة يعيشون في منطقة الشرق الأوسط، وهو ما ساعدها في صناعة السياسة بالمنطقة.

يُضاف إلى العنصر الإسلامي والشيعي العنصر الفارسي، إذ تنبغي الإشارة إلى أن الفارسية لغـة تتعدى الحدود الجغرافية الإيرانية، وكانت منتشرة على مسـاحات واسـعة خلال المراحل التاريخيـة. كـما أن اللغة الفارسـية أثـرت في العديـد من اللغـات في بلدان أخـرى، مثل الهند، وباكستان، وتركيا، والبوسنة والهرسك، وألبانيا، وصربيا، وكرواتيا، وقره باغ، ومقدونيا. وفي الوقت الحالي تعدّ الفارسـية اللغة الرسـمية الوحيدة في إيران وطاجيكسـتان، أما في أفغانستان فإنها واحدة من بين اللغات الرسمية الأخرى، إضافة إلى أن بعض اللهجات الفارسية لاتزال مستخدمة في الهند وباكستان.

إضافـة إلى هـذا توجد في إيـران مجتمعات تتكلم اللغـات التركية، والكرديـة، والتركمانية، والعربية، والبلوشـيّة. وبالنظر من هذه الزاوية، تمتلك إيران إمكانية إنشـاء علاقات قرابة من خلال اللغة مع كلّ من أذربيجان، وتركمانسـتان، وأرمينيا، وتركيا، والعراق، والدول العربية التي في الخليج العربي، ومع البلاد الأفريقية الناطقة بالعربية.

الممثليات الثقافية والسياسية

توجد لإيران سفارات في 13 دولة من أصل 15 دولة في الشرق الأوسط، ويوجد لها مكتب في مصر، كما أن دول أوراسيا جميعها تقيم علاقات دبلوماسية مع إيران، وافتُتِحت سفارات متبادلة في 10 دول في المنطقة. وتوجد لديها أيضًا سفارات في 17 دولة من بلدان آسيا والمحيط الهادئ،[27] كذلك لديها 31 سفارة في أوروبا و22 في إفريقيا، أما في دول أمريكا اللاتينية فلها علاقات على مستوى السفارات مع ست دول منها، واتفاقيات مع ثلاث أخرى.

كذلك لدى إيران 11 مركزًا ثقافيًّا في 9 دول في الشرق الأوسط، إضافة إلى وجود 17 قنصلية ثقافية لها في 9 من بلدان آسيا والمحيط الهادئ؛ ثمانية منها في باكستان، أما في أوراسيا فهناك دولتان فقط لا توجد فيها مراكز ثقافية لإيران، كما أن لديها 12 ممثلية ثقافية في أوربا و11 في إفريقيا.[28]

الإعلام وقنوات الاتصال

تنشر إيران ست صحف باللغة العربية والإنكليزية للتواصل مع مواطني الدول الأخرى، وتوجّه صحف إيران نيوز، وإيران ديلي، وطهران تايمز، وكيهان إنكليش منشوراتها إلى أوربا، وأمريكا الشمالية، وآسيا وإفريقيا بشكل أكبر. أما صحيفتا الوفاق وكيهان فإنهما تستهدفان المتحدثين بالعربية في الشرق الأوسط و وإفريقيا.[29]

إلى جانب ذلك، فإن لدى مؤسسة الإذاعة والتلفزيون الإيرانية عشر محطات تلفزيونية تبث لخارج البلاد، وهذه القنوات هي: جام جم1,2,3، وقناة العالَم، وسحر1,2,3، والكوثر، وبريس، وقناة حسبان الفضائية.

تنشر إيران ست صحف باللغة العربية والإنكليزية للتواصل مع مواطني الدول الأخرى، وتوجّه صحف إيران نيوز، وإيران ديلي، وطهران تايمز، وكيهان إنكليش منشوراتها إلى أوربا، وأمريكا الشمالية، وآسيا وإفريقيا بشكل أكبر. أما صحيفتا الوفاق وكيهان فإنهما تستهدفان المتحدثين بالعربية في الشرق الأوسط و وإفريقيا

إن الجمهور المستهدف لقناة "جام جم" هم الإيرانيون والناطقون بالفارسية خارج البلاد، وهي تُبَثّ باللغة الفارسية على مدار 24 ساعة، وتخاطب مناطق أوربا، وأمريكا وآسيا.

أما قناة العالَم فتُبَثّ باللغة العربية، وتخاطب الجمهور الموجود في الشرق الأوسط على مدار 24 ساعة. وكانت بدأت بالبث في بدايات عام 2004، والمخاطَب الفعلي للقناة هو الخليج العربي، والعراق، ومصر، وموريتانيا، والجزائر، وسوريا، ولبنان، والأردن، وفلسطين. ولديها 50 مراسلًا في 40 بلدًا، على رأسها غزة، ورام الله، وإسرائيل، وواشنطن، ونيويورك، أما موقعها الإلكتروني فيبثّ باللغات الإنكليزية والعربية والفارسية.[30]

أما قناة سحر فتبثّ بست لغات، هي: الأورديّة، والإنكليزية، والبوسنية، والتركية، والفرنسية، والكردية.[31] وتبث قناة منها الكوثر باللغة العربية، وأكثر ما تركّز على البرامج الدينية– المذهبية.[32]

أما قناة بريس فإنها تبثّ بالإنكليزية، ويعمل لديها 400 شخص في إيران فقط، إضافة إلى وجود مراسلين لها في 26 عاصمة حول العالم، وتزعم القناة أنها تؤدّي دورًا مهمًّا في حروب التواصل من خلال بثها باللغة الإنكليزية.[33]

أما قناة الحسبان فإنها تبث بالإسبانية وتحدد جمهورها المستهدف من مواطني دول إسبانيا، وفنزويلا، والأرجنتين، وبوليفيا، والإكوادور، والبيرو، وكولومبيا، والمكسيك وكوبا.[34]

وإلى جانب ذلك لدى إيران محطات إذاعية تبث بلغات عديدة كالعربية، والأرديّة، والبشتوية، والدرية (الفارسية الأفغانية)، والعبرية، والكردية، والإنكليزية، واليابانية، والهندية، والبنغالية، والإندونيسية، والأرمينية، والروسية، والجورجية، والأذربيجانية، والطاجيكية، والكازاخية، والبوسنية، والألبانية، والإيطالية، والألمانية، والفرنسية، والإسبانية.[35]

الجامعات

افتتحت إيران فروعًا لجامعات لها في كلّ من جزر القمر، وفنزويلا، ولبنان، والإمارات العربية المتحدة، وباكستان، ودبي، وأرمينيا، وتنزانيا، إضافة إلى أنها تخطط لفعل الشيء ذاته في كل من أفغانستان، وطاجيكستان، وكندا، وماليزيا.

كما أُقِرّ بناء جامعة إيرانية- أفغانية بهدف تحقيق المشروعات الهندسية والبحوث المشتركة، وافتتحت إيران في أفغانستان فرعًا لجامعة لها في التعليم المفتوح، وبنت في هرات (أفغانستان) فرعًا لجامعة الفردوسي، وسمّتها جامعة الحاج عبد الله الأنصاري، وفي عام 2009، افتتحت في سوريا جامعة الفارابي على أنها فرع لجامعة تربية مدرس الإيرانية.[36]

المراكز الثقافية الإيرانية ومؤسسات اللغة الفارسية:

أسست إيران أكثر من 600 مركز ثقافي إيراني في 45 دولة حول العالم: 13 مركزًا في 5 دول في الشرق الأوسط، و38 مركزًا في 8 دول من بلدان آسيا والمحيط الهادي، و203 مراكز في 7 دول مركزية من البلدان الأوراسية، و281 مركزًا في 21 دولة أوروبية، ولديها مركز واحد في غانا و99 مركزًا في أمريكا الشمالية، ولديها كذلك حوالي مئة مركز لتعليم اللغة الفارسية في بلدان مختلفة من العالم.[37]

النتيجة

إن المقصود بنوع القوة، المسماة بالصلبة، من ناحية مصادر واستخدام القوة التي تعدّ أحد المصطلحات البارزة التي تتناولها نظريات العلاقات الدولية- هي بشكل عام الطاقة الجغرافية والعسكرية والاقتصادية لدولة ما، والتأثير في الآخر بالاستفادة من هذه القوة. وبتعبير آخر، فإن القوة التي تقوم على استخدام العناصر، مثل الموقع الجيوسياسي، والقوة الاقتصادية والقدرة العسكرية، أحيانًا للتهديد وأحيانًا أخرى للتحفيز بحسب المكان والزمان- تسمّى القوة الصلبة.

عندما يكون الأمر متعلقًا بإيران، فإن عناصر القوة الصلبة البارزة لديها هي الموقع الجغرافي، ووجودها في مركز أحواض الطاقة، وإستراتيجيتها العسكرية وصناعة السلاح. الموقع الجغرافي لإيران خاصة، يؤدّي دورًا ريادياً مهماً بين أدوات القوة الصلبة لها. ووجود إيران في موقع يُعَدّ من أكثر مناطق العالم حساسية من ناحية الطاقة، وامتلاكها السواحل الطويلة، وسيطرتها على مضيق هرمز الذي يُعَدّ شريان الحياة بالنسبة لنقل الطاقة العالمية، وكونها من أبرز منتجي الطاقة في العالم- جعلت منها دولة تستقر في مكانة نادرة من العالم.

أما عند النظر من ناحية إستراتيجيتها الدفاعية، فنرى أن إيران تدرك فرصها وسلبياتها، وتحدد إستراتيجيتها وفق ذلك. ومن بين الخصائص الجوهرية الخاصة بإيران تركيزها على إستراتيجية الحرب غير المتكافئة أكثر من التكتيكات الحربية التقليدية، واستنادها بنسبة كبيرة إلى الحروب بالوكالة.

من جهة أخرى، تزيد أهمية النوع الآخر من القوة وهي القوة الناعمة، حيث أصبحت الحرب الدعائية التي زادت أهميتها مع انتشار أدوات التواصل في العصر الحديث- أحد جوانب القوة الناعمة.

ولزيادة وضوح الحقيقة، فإن تنوع أدوات التواصل المذكورة كسرت الاحتكار في هذا المجال، وأنجبت تكافؤ فرص –تقريبًا– للجميع على صعيد القوة الناعمة، وأصبحت الدولة التي تمتلك عناصر القوة الناعمة، بوصفها فرصًا متاحة، مثل الثقافة، والأيديولوجيا، والدين، والمذهب، وأنماط العيش الجذاب– بوسعها مقارنة بالماضي تحويل هذه الفرص إلى إجراءات فعلية بصورة أكبر.

وتُعَدّ إيران بميزاتها الخاصة بها من بين الدول التي تمتلك عناصر القوة الناعمة المختلفة، وبالأخص عندما ننظر إليها على مستوى إقليمي، فإن امتلاكها العديد من العناصر الرائجة في الشرق الأوسط بوصفها فرصًا متاحة– يعزّز من قوتها. كما تُعَدّ الأيديولوجيا الإسلامية، والمذهب الشيعي، والحضارة الفارسية القديمة– من أبرز أدوات القوة الناعمة لإيران. إلى جانب ذلك، فإن المزاعم الجذابة بالنسبة لشعوب المنطقة، كمناهضة الأنظمة الدكتاتورية على المستوى الخطابي، ومعارضة الرأسمالية العالمية والهيمنة الليبرالية على النظام العالمي، وكذلك مناهضة إسرائيل الصهيونية المحتلة للأراضي الفلسطينية– تعدّ من بين عناصر القوة الناعمة لإيران، إلا أن تباين عناصر القوة المحتملة في بعض الأحيان، أو ظهور التناقضات بين الأقوال والأفعال يعيق استفادة إيران من عناصر القوة الناعمة كما تريد، وتتركها في مواجهة مشكلة المصداقية بشكل خاص. على سبيل المثال فإن الموقف الذي تتخذه في سوريا، على عكس موقف الأغلبية السُّنية من العالم الإسلامي، فتح الطريق إلى استياء المسلمين الذين كانوا يتعاطفون معها منها. وربما كان السبب في ذلك، تداخل استخدام إيران للقوة الناعمة، مع القوة الصلبة، في كثير من الأحيان، وضبابية الحدود بين هاتين القوتين.

وكانت إيران جمدت مشروع تصدير الثورة إلى الخارج، منذ فترة طويلة، إلا أنها طوّرت علاقاتها أيضًا مع جميع الشيعة في العالم، وأظهرت بتصرفها هذا أنها دولة ماهرة في تشكيل نفوذ لها من خلال الأنشطة الثقافية التي تقيمها، ولا شك أن هذا النوع من الأنشطة لن يقف عند حدّ خدمة فلسفة الوجود الديني– الثقافي لإيران، بل يُستَخدَم أيضًا في خدمة مصالحها الإستراتيجية.

الهوامش والمراجع:

1. باحث متخصص في الشؤون الإيرانية لدى مركز الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية "سيتا".
2. Dahşiya,Dahşiya, Hüseyin, Siyaset-i Harici-yiAmrika Der Asya, Neşr-i EbrarMuassır, Tahran, 1382, s.37
3. Muzafferi, Ayet, Reviş Şinasi ve Amuzeş-i Tahlil-i Siyasi, Neşr-i Zemzem Hidayet, Kum,1386, s.38.
4. İsmaili, Ali Muhammed, Ceng-i Nerm Der HeminNezdiki, Neşr-i Saki, Tahran, 1391, s.8
5. Hafızniya, Muhammed Rıza, Usul ve Mefahim-i Keopolitik, Neşr-i Payay, Meşhed, 1385, s.257.
6. The Second Face of Power
7. Soft ower
8. Purmihrani, Mihran, Çalışha-yı Jeopolitik-i İran Der Merzha-yıPeyramun, Neşr-i Noaver, Tahran, 1389, s.39- 41.

9. Mesud, Muhammed Hüseyni, Merzha-yı İran, Neşr-i Danışgah-ı Efseri ve Terbiyet-i Pasdari İmam Hüseyin, Tahran, 1391,s.660, 292, 414.
10. Purmihrani, Mihran, Çalışha-yı Jeopolitik-i İran Der Merzha-yıPeyramun, Neşr-i Noaver, Tahran, 1389, s.40.
11. Murtaza, Damenpak Cami, Diplomasi-yi İktisadi-yiCumhuri-yi İslami-yi İran Der Asya-yı Merkezi, Neşr-i Vezart-i Umur-u Hariciye, Tahran, 1388, s.225.
12. http://smallwarsjournal.com/jrnl/art/irans-response-to-a-us-attack
13. http://goo.gl/ZGdDsn
14. Asgar, Caferi Vildani, Revabıt-ı Harici-yi İran Bad Ez İnklab-ı İslami, Neşr-i Ava-yı Nur, Tahran, 1382, s.46- 47.
15. http://www.eia.gov/todayinenergy/detail.cfm?id=4430
16. http://goo.gl/appkSX
17. http://smallwarsjournal.com/jrnl/art/irans-response-to-a-us-attack
18. للتوسع عن الباسيج انظر مفتاح فهم السياسة الإيرانية
http://file.setav.org/Files/Pdf/20130610163244_iran-siyaseti_web.pdf
19. للتوسع عن الحرس الثوري انظر مفتاح فهم السياسة الإيرانية
http://file.setav.org/Files/Pdf/20130610163244_iran-siyaseti_web.pdf
20. نفس الموقع.
21. http://goo.gl/2hWlH2
22. http://goo.gl/2hWlH2
23. http://fa.alalam.ir/news/1659144
24. İftihariAsgar, Tesirat-ı İnklab-ı İslami-i İran der Gostere-i Cihani, Name-i Pejuheş Dergisi, Sayı 10 ve 11, Sonbahar ve Kış 1377
25. DehkaniCulan ve FiruzabadiRadfer, Olguha-yıSudur-u İnklab der Siyaset-i Harici-i Cumhur-yi İslami-i İran, İntişarat-ı İmam Sadık, Tahran, 1389
26. للتوسع عن المؤسسة انظر http://www.sajam.ir/
27. http://econsulate.mfa.ir/
28. http://www.icro.ir/
29. Harsij Hüseyin, Jeopolitik-i Kudret-i Nerm-e İran, Pejuheşname Ulum-u Siyasi dergisi, Yıl 4, Sayı 2, Bahar 1388, s.243
30. 30http://www.alalam.ir/
31. 31http://www.sahartv.ir/
32. 32http://www.alkawthartv.ir/
33. 33http://www.presstv.ir/
34. 34http://www.hispantv.ir/
35. http://worldservice.irib.ir/
36. http://goo.gl/XcckJo
37. Harsij Hüseyin, Jeopolitik-i Kudret-i Nerm-e İran, Pejuheşname Ulum-u Siyasi dergisi, Yıl 4, Sayı 2, Bahar 1388, s.253